مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

قمة ألاسكا: هل تعيد السلام لأوكرانيا؟

أ.د صالح بن محمد الخثلان

مستشار أول

مركز الخليج للأبحاث

ثلاث سنوات ونصف مضت على اندلاع الحرب الروسية على أوكرانيا، ولا تزال المعارك دائرة في مختلف الجبهات الشرقية من الأراضي الأوكرانية، حيث تحقق القوات الروسية تقدماً محدوداً يقاس بالكيلومترات وأحيانا بالأمتار، مقابل خسائر بشرية ومادية فادحة. المشهد الميداني لا يوحي بوجود تحولات جذرية يمكن أن تدفع أيّاً من الطرفين إلى تعديل موقفه، وكما تثبت تجارب الحروب السابقة، فإن الانخراط الجاد في مفاوضات السلام لا يحدث إلا عندما يبلغ الطرفان حدّ الإنهاك وفقدان القدرة على تحقيق أهدافهما. وحتى اللحظة، ورغم الخسائر والأعباء المتزايدة، لا يبدو أن موسكو أو كييف قد وصلتا إلى هذه المرحلة.

إذاً، كيف نفسر إقدام ترامب على عقد قمة مع بوتين لبحث إنهاء الحرب، إذا كان الوضع على الأرض لم ينضج بعد لتسوية سياسية؟ ما الذي استجدّ في المشهد إذا كانت المعطيات الميدانية لا تدفع الطرفين نحو التفاوض الجاد؟

هنا يبرز العامل الأهم لتفسير ما يحدث، وهو التغير في مواقف الأطراف الأخرى المنخرطة في الحرب، والموقف الغربي تحديداً (أوروبا والولايات المتحدة). فمنذ الأيام الأولى لدخول القوات الروسية الأراضي الأوكرانية، أعلن الغرب دعمه الكامل لكييف، معتبراً الحرب تهديداً استراتيجياً للأمن الأوروبي. وقد تبنّى حلف الناتو هذا التقييم في وثائقه وحرص مسؤوليه على تكرار إعلانه، مؤكداً أن روسيا تمثل خطراً يتجاوز أوكرانيا إلى مجمل الأمن الأوروبي، بل ورأى في تصرفات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين محاولة لإعادة رسم الخريطة السياسية للقارة على نحو يعيد نفوذ موسكو لما كان عليه في الحقبة السوفيتية استناداً إلى هذا التقدير، انخرط الناتو في سياسة دعم واسع لأوكرانيا، شملت المساعدات العسكرية والمالية والاستخباراتية، وفرض حزم متتالية من العقوبات الاقتصادية على روسيا، مع التأكيد على أن دعم كييف ضرورة استراتيجية لردع أي توسع روسي محتمل. غير أن هذا الدعم ظل مقيداً بشرط أساسي، هو تجنّب أي تورط مباشر في حرب مع روسيا، وهو ما انعكس بوضوح في نوعية وحجم المساعدات العسكرية المقدمة لكييف، إذ مُنع عنها الأسلحة التي كان من شأنها قلب موازين الحرب لصالح أوكرانيا.

لكن ضمن هذا الموقف الغربي الموحّد نسبياً، ظل الموقف الأوروبي أكثر استقراراً، رغم وجود بعض الأصوات المتحفظة وفي مقدمتها المجر، **في حين شهد الموقف الأمريكي ما يشبه الانقلاب**. ففي عهد الرئيس السابق جوزيف بايدن، تأسست السياسة الأمريكية على رؤية استراتيجية تعتبر روسيا تهديداً لا يقتصر على أوكرانيا وحدها، بل يطال الغرب بأسره، في سياق صراع بين قيم ديمقراطية وأخرى تسلطية. وقد تُرجمت تلك الرؤية في دعم عسكري واسع، رغم أنه لم يبلغ مستوى تطلعات الأوكرانيين، خاصة فيما يتعلق بالسلاح الجوي، لكنه بقي دعمًا كبيراً ومتواصلاً

ومع وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، تبدّل المشهد تماماً؛ فلم تعد المسألة تُدار بمنطق الحسابات الاستراتيجية، بل تحولت إلى مجرد صفقة تمزج بين الرغبة في إنهاء العبء العسكري والمالي

عن الولايات المتحدة، وبين السعي لتحقيق مكسب شخصي لترامب يجعل منه «صانع سلام»، كما يروج لنفسه فقد جمع بين الأذريين والأرمن ونسب لنفسه إنهاء المواجهة العسكرية بين الهند وباكستان، وصُنع السلام بين راوندا والكنغو.

هذا التحول تجسّد بشكله الفج في اللقاء الشهير في البيت الأبيض، حين وجّه ترامب انتقادات علنية للرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، محمّلاً إياه مسؤولية بدء الحرب واستمرارها، متبنياً الرواية الروسية، لأسباب غير معروفة حتى تاريخه بعضها يدخل دائرة المؤامرة تتحدث عن علاقات قديمة بين بوتين وموسكو.

التحول في الموقف الأمريكي تجاه الحرب في أوكرانيا يعكس مزيجاً من قناعات ترامب الشخصية، وسياسة «أمريكا أولاً»، وربما مراعاة رأي عام أمريكي متزايد يعارض استمرار الدعم العسكري لكييف. ترامب لم يتردد في استغلال ضعف أوكرانيا، إذ فرض على كييف—وهي تحت وابل الصواريخ والطائرات المسيّرة الروسية— اتفاقية اقتصادية تتيح لواشنطن استغلال ثرواتها الطبيعية. البعض أحسن الظن ورأى في تلك الاتفاقية ضمانة لاستمرار الدعم الأمريكي لأوكرانيا، باعتبارها خلقت مصلحة حقيقية لواشنطن في حماية الأراضي الأوكرانية من أجل الانفراد بمواردها الطبيعية. غير أن الاتفاقية لم تغيّر الموقف الأمريكي، الذي اتسم منذ ذلك الحين بالتقلب، واستمرت الضغوط على زيلينسكي، فيما أصبح الدعم العسكري الأمريكي متقطعًا، يأتي غالباً كرد فعل على مدى تجاوب بوتين مع تصريحات ترامب بشأن التفاوض، لا ضمن إطار سياسة واضحة وثابتة. كما تحوّل الدعم إلى مجرد برنامج مبيعات عسكرية يدفع ثمنها الناتو.

إذاً يبقى المتغير الأبرز في مسار الحرب منذ إطلاق بوتين ما اسماه بالعملية العسكرية الخاصة هو عودة دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، ولذلك لا يمكن التقليل من تأثير ذلك على توجيه مسار الحرب إيجاباً أو سلباً، وهنا تتبين أهمية **قمة ألاسكا** التي ستعقد الجمعة في أول لقاء يجمع بوتين برئيس أمريكي منذ فبراير ٢٠٢٢، وسط تكهنات بأنه سيطرح مبادرة لوقف إطلاق النار والدخول في مفاوضات لأنهاء النزاع وإحلال السلام. لكن مراجعة تجاربه السابقة، من لقاءاته مع زعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون في زيارته الشهيرة اثناء فترة رئاسته الاولى، إلى تصريحاته المبالغ فيها عن قدرته على تسوية القضية الفلسطينية تجعل التوقعات بتحقيق اختراق كبير أقرب إلى المبالغ بالنظر إلى تعقيدات الصراع الروسي الاوكراني.

ففي الجوهر، لم تتغير مواقف الطرفين؛ فمن جهة، يواصل بوتين تبرير الحرب برغبته في وقف توسع الناتو الذي يعتبره تهديداً وجودياً لروسيا، ومنع تحول أوكرانيا إلى أداة يستخدمها الغرب ضدها، وحماية الأقلية الروسية في شرق أوكرانيا، والتخلص مما يسميه «العناصر النازية» في كييف. ولم يظهر ما يشير إلى تغيّر أهدافه المتمثلة في ضم الأراضي الأوكرانية ذات الأغلبية الروسية، وتغيير النظام الحاكم في كييف، ومنع انضمام أوكرانيا إلى الناتو أو الاتحاد الأوروبي. ورغم أن القوات الروسية تسيطر حالياً على نحو ٢٠٪ من الأراضي الأوكرانية، تشمل أقاليم دونيتسك ولوغانسك وأجزاء من خيرسون وزابوريجيا، فإن هذه السيطرة ما زالت غير مكتملة لتحقيق أهدافه، ما يعني استمرار الحرب حتى لو استنزفت الكثير من موارد روسيا، ما لم يوافق زيلينسكي على تقديم تنازلات جوهرية تشمل التخلي عن أجزاء كبيرة من الأراضي الأوكرانية، وهو تنازل سيجعل منه في نظر مواطنيه المسؤول عن اقتطاع جزء من الوطن، والتسبب في خسارة تاريخية كبرى ستظل وصمة عار تلاحقه في ذاكرة الأمة الأوكرانية

وخَشيةً من هذا المصير، يواصل زيلينسكي رفض تقديم أي تنازل، حتى لو أغضب ذلك ترامب مؤكداً بأن «الاوكرانيون لن يتنازلوا عن أراضيهم للمحتل)، متمسكًا بانسحاب القوات الروسية واستعادة كامل الأراضي، ومحاسبة المسؤولين الروس على ما تعتبره كييف جرائم حرب، إضافةً إلى حصول أوكرانيا على ضمانات أمنية ضد أي تهديد مستقبلي.

أكثر ما يثير الجدل في **قمة ألاسكا** هو ما صرّح به ترامب حول صفقة «**تبادل أراضٍ**» كحلّ يرضي الطرفين. لكن المقصود بهذا المفهوم ليس واضحاً، إذ تدور جميع جبهات القتال اليوم على أراضٍ أوكرانية، الأمر الذي يثير التساؤل: عن أي أراضٍ يمكن لأوكرانيا أن تتنازل، مقابل أن تتنازل روسيا عن أراضٍ لها؟

حالياً، لا تحتل القوات الأوكرانية أي أراضٍ روسية يمكن مقايضتها مع موسكو، وربما كانت الفكرة قابلة للطرح العام الماضي، حين سيطرت القوات الأوكرانية على أجزاء من منطقة كورسك الروسية، ونُظر إليها حينئذ كورقة مساومة محتملة. لكن القوات الروسية، وبعد ثمانية أشهر من القتال العنيف وبدعم من قوات كورية شمالية، استعادت تلك الأراضي. وبغياب تلك الورقة، لم يعد لدى كييف ما تضعه على طاولة «تبادل الأراضي»، ما يجعل المفهوم برمّته أقرب إلى صيغة تنازل أحادي، لا إلى صفقة متبادلة بالمعنى العملي. والمثير للاستغراب أن الأراضي التي يتحدث ترامب عن مبادلتها، كما ذكر تقرير لصحيفة وول ستريت جورنال ، هي أراضٍ أوكرانية خالصة؛ فمقابل انسحاب القوات الأوكرانية من دونيتسك، تجمد روسيا عملياتها في خيرسون وزابوريجيا التي تحتل أجزاءً منها.

أقرب حلّ عملي لإنهاء الحرب هو تجميدها عند خطوط التماس الحالية، وبوتين، بوصفه صاحب اليد العليا ميدانياً، الأقدر على فرض هذا السيناريو. لكن يبقى السؤال: هل هو مستعد لذلك دون تنازل كييف عن بقية أراضيها؟ الإجابة قد تتضح في ختام قمة ألاسكا.

أكثر ما يثير الجدل في قمة ألاسكا هو ما صرّح به ترامب حول صفقة «تبادل أراضٍ» كحلّ يرضي الطرفين. لكن المقصود بهذا المفهوم ليس واضحاً

المؤكد أن **قمة ألاسكا**، وحتى قبل انعقادها، تمثل مكسباً مهماً للرئيس الروسي؛ إذ كسرت عزلته وأظهرته في صورة الزعيم المستعد للتفاوض، مقابل زيلينسكي الذي يبدو متصلباً. وبهذا يكسب بوتين ودّ ترامب، الذي يحرص على أن يُظهر تجاوب الآخرين مع مقترحاته ويستمتعون بالإنصات إليه. كما تمنح القمة موسكو فرصة لتحسين العلاقات الثنائية مع واشنطن، التي تضررت بفعل الحرب، وربما تفتح الباب أمام استعادة بعض الروابط الاقتصادية والدبلوماسية ومع ذلك، وحتى لو انتهت القمة إلى بيان ختامي يشير إلى إمكانية التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، فإن تسوية شاملة ستظل بعيدة المنال، فالصراع له جذور عميقة، وأهداف الطرفين ما زالت متناقضة إلى حد يجعل أي اتفاق سلام هشّاً وقابلاً للانهيار.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center
Jeddah
(Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Foundation

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre
Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center
Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64

@Gulf_Research Gulfresearchcenter gulfresearchcenter gulfresearchcenter

www.grc.net

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع